I - درس النصوص (14 نقطة)

أ- النص :

يقول فؤاد القرقوري في نص بعنوان "إشكالية "الأنا" في الرومانسية العربية" :

لقد دعا الرومانسيون العرب – نظريا – إلى أن تكون النفس البشرية وما يداخلها من أحاسيس، ويخالجها من عواطف موضوعا للأدب. ولا شك في أن هذا التصور جعلهم في ممارساتهم الأدبية يقبلون على أنفسهم، يرسمون أشواقها ومشاعرها وتطلعاتها ونزواتها، ويخصونها بالمكانة الأولى في كتاباتهم. وهذا الحديث المكثف عن النفس عند الرومانسيين العرب جعل الأنا يشكل محورا قائم الذات في إنتاجهم، بل لعله أهم المحاور الواردة فيه (...).

وسنحاول فيما يلي أن نستعرض أهم مظاهر الأشكال المكونة لجوهر الأنا عند الرومانسيين العرب.

إن الإحساس بالغربة والوحدة يعد من أبرز خصائص الأنا في الرومانسية العربية. وهذا الشعور هو في واقع الأمر نتيجة الوعي المتوهج بالذات المتضخمة. فالرومانسي العربي مثقل بذاته يتسع لها دون سواها، على نحو ما يصوره هذا المقتطف من "دمعة وابتسامة" لجبران إذ يقول : «أنظر وأتأمل بجميع هذه الأشياء من خلال بلور نافذتي، فأنسى الخمس والعشرين وما جاء قبلها من الأجيال، وما سيأتي بعدها من القرون. ويظهر لي كياني ومحيطي بكل ما أخفاه وأعلنه كذرة من تنهدة طفل ترتجف في خلاء أزلي الأعماق ...لكنني أشعر بكيان هذه الذرة، هذه الذات التي أدعوها أنا. أشعر بحراكها، وأسمع ضجيجها...».

وقد أصبح التعبير عن الغربة بعد استقرار الرومانسية العربية ونضجها من المعاني الأساسية المتواترة فيها، والتي لا يكاد يخلو منها نص رومانسي. وهي غربة وجودية بالمعنى الكامل للكلمة، وإحساس عميق بالوحدة ينتفي معه كل توازن وكل طمأنينة ودعة. وسواء طالعت مؤلفات جبران أو نعيمة أو ما كتبه الشابي أو شكري أو أبو شادي أو ناجي أو العقاد، فإنك واجد نفسا معذبة تشكو الغربة والوحدة في عالم هو مع ذلك مليء بالناس. يقول نعيمة [في ديوانه "همس الجفون"] متحدثا عن قلبه :

نبذتـــه ضوضـــاء الحياة فمـــال عنهـــا وانفـــرد
وغـــدا جمـــادا لا يحـــن ولا يـــميل إلـــى أحـــد
وغـــدا غريبـــا بيـــن قـــوم كـــان قبـــلا منهـــم
وغـــدوت بيـــن النـــاس لغـــزا فيـــه لغـــز مبهـــم

ويجسم الشعور بالحزن والكآبة المظهر الثاني من مظاهر الأنا عند الرومانسيين العرب. وهو شعور يكمل ما لمسناه عندهم من إحساس بالغربة، وعدم الانسجام مع العالم الخارجي. ولا يكاد يخلو مؤلف من المؤلفات الشعرية أو النثرية التي خلفوها من التعبير عما كان يجتاح أنفسهم من حزن وكآبة، وعما كان يسيطر عليها من قتامة سوداوية، جعلت أدبهم يبدو في معظم الحالات تصويرا للذات البشرية التي تنشد الفرحة فما تدركها ولا هي تعرف لها طعما...فهذا أبو شادي يصور معاناته [في ديوانه "أطياف الربيع"] بقوله :

وسكنـــت للنفس الحزينـــة جاثيـــا قلقـــا أفتـــش عالمـــي المترامـــي
فأعب كأس الحـــزن وحدي صامتـــا والصمـــت بعض عبـــادة المتسامـــي

(...)

وتكتمل الواجهة السلبية من الأنا عند الرومانسيين العرب بالشعور باليأس. وهو يأس وجودي حصل في أنفسهم نتيجة الصراع المرير بين الإحساس بالذات، وعدم انسجام تلك الذات مع نفسها ومع العالم الخارجي الذي يحيط بها. فإذا بها تعيش الفشل في أقسى مظاهره...

... وتمثل الطبيعة في النصوص الرومانسية العربية صخرة النجاة التي يجلس عليها الأديب يلتمس الراحة...فإذا كان وجود الرومانسي في معظمه متدهورا سواء في علاقته بنفسه أو بالعالم الخارجي، فإن الطبيعة في نظره مهد القيم الأصيلة وإطارها، فلا غرابة، والحال هذه، أن يحتمي بها وأن يسعى إلى ذلك سعيا...

وهذا التصور للطبيعة تتفرع عنه في النصوص الرومانسية العربية مقابلة تكاد تكون قارة فيها بين الغاب والمدينة، وما يمثله الأول من خير وجمال وقيم أصيلة، وما في الثانية من شر وزيف وقبح وتدهور. ووظيفة هذه المقابلة هي في الوقت نفسه تبرير لعودة الرومانسي العربي، إلى عالم الطبيعة، وإغراء بالنسج على منواله ... ولئن كانت المدونة الرومانسية العربية لا تكاد تخلو من المقابلة بين الغاب والمدينة – صراحة أو تلميحا – فإننا نعتقد جازمين أن قصيدة "المواكب" لجبران ينبغي أن تعتبر نموذجا في هذا المضمار. فهذه القصيدة المطولة بنيت كلها على ما يوجد من تناقض جوهري بين الحياة الاجتماعية بنقصها ومفاسدها وزيفها، وحياة الغاب، حيث القيم الأصيلة لم تدنس وحيث الممارسة الوجودية تعانق الصفاء وتقارب المطلق في كنف موسيقى الناي.

مصدر النص : أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث. الدار العربية للكتاب – طرابلس، ليبيا/1986. ص : 122-145 (بتصرف).

صاحب النص :فؤاد القرقوري : باحث وناقد تونسي معاصر، من أبرز كتبه : "أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها"، وهو الكتاب الذي اقتطف منه هذا النص.

شروح مساعدة :
- أزلي : لا نهاية له.
- جاثيا : جالسا على ركبتيه.
- دعة : راحة وطمأنينة.
- أُعُبُّ : أَشْرَبُ.

ب- الأسئلة :

اكتب موضوعا إنشائيا متكاملا تحلل فيه هذا النص النظري، مستثمرا مكتسباتك المعرفية والمنهجية واللغوية، مع الاسترشاد بالمطـــالب التالية :

- صياغة مقدمة مناسبة للنص، مع وضع فرضية لقراءته (نقطتان).
- تحديد القضية الأدبية التي يطرحها النص، وإبراز العناصر المكونة لها (نقطتان).
- بيان الأسباب التي جعلت الشاعر الرومانسي العربي يلتف حول ذاته، مع إبراز طبيعة العلاقة بين هذه الذات والطبيعة (نقطتان).
- بيان الطريقة المتبعة في بناء النص، وتحديد الوسائل الموظفة في معالجته (4 نقط).
- تركيب خلاصة تتضمن النتائج المتوصل إليها، مع إبداء الرأي الشخصي حول القضية المطروحة في النص (4 نقط).

II - دراسة المؤلفات (6 نقط)

جاء في كتاب "ظاهرة الشعر الحديث" لأحمد المعداوي-المجاطي ما يلي :

«... هناك عدة اقتراحات لتسمية هذه الحركة الشعرية، منها اقتراح الشاعر صلاح عبد الصبور لتسميتها بالشعر التفعيلي، وهي تسمية غير دقيقة لأنها تستند إلى جانب شكلي، بل إلى جانب جزئي من الشكل هو الوزن. وهناك اقتراح آخر هو تسميتها بالشعر المنطلق، ويؤخذ عليه أن مفهوم الانطلاق قد يعني التحرر من كل قيد، كما أن مفهوم الحرية في قولهم "الشعر الحر" قد يعني التحرر من أي التزام، ومن أجل ذلك آثرنا استعمال مصطلح " الشعر الحديث"، تمييزا لهذه الحركة عن التيارات الشعرية الجديدة الأخرى، كتيار أبولو، وتيار المهجر، وغيرهما».

• ظاهرة الشعر الحديث. شركة النشر والتوزيع "المدارس" – الدار البيضاء. الطبعة الثانية / 2007. ص : 56. (الهامش 1).

انطلق من هذه القولة، واكتب موضوعا متكاملا، تنجز فيه ما يلي :

– ربط القولة بسياقها العام داخل المؤلف.

– إبراز الفروق بين المصطلحات الأربعة الواردة فيها : "الشعر التفعيلي" و "الشعر المنطلق" و "الشعر الحر" و"الشعر الحديث".

– رصد بعض الفروق بين حركة "الشعر الحديث" وتياري أبولو والمهجر.